ولم تكن عاصفة عادية بل كانت أشبه بإعصار ذي دوامات قلعت الخيام وقلبت الى الأرض الكنائس التي بنيت حديثا في الريف ورفعت أمواجا عالية فوق النهر واكتسحت المراكب والأساطيل النهرية وأغرقتها مدمرة ومغرقة كل شيء . فضاعت كل المواد الغذائية وكل الالبسة السميكة الصالحة للخريف وكمية كبيرة من الذخيرة ووجد أن جهود اشهر طويلة صارت الى العدم خلال بضع الساعات التي استغرقتها العاصفة . ومن حسن الحظ أن التتر كانوا ضعيفي الخيال فلم يدركوا ما حل بمعسكر العدو عندما حالت بينهم وبينه سحابة كثيفة من الرمل والغبار غطت عن أنظارهم جيش المحاصرين ، وكان بامكان سكان قازان في لحظة من اللحظات ان ينتهوا بسرعة من جيش إيڤان نفسه ، ولكن هذه المعركة الثانية كانت من « صنع الله » ولم يكن لدى التتر من حضور البديهة ما يمكنهم من الافادة منها .

عندما رأى إيڤان مشهد هذا الخراب جمع التجار والباعة المتجولين واتخذ معهم التدابير اللازمة لاعادة تموين الجيش بأقصى همة ونشاط وتجهيزه بالكثير من الثياب الدافئة . وكان قد رأى ان قازان كانت اشد تحصينا مما كان يظن فقرر ان يحاصرها بكامل جيشه حتى ولو كلفه ذلك قضاء الشتاء كله في الحصار . وكانت تلك واحدة من المناسبات التي تبدت فيها ارادة إيڤان الرهيب وإصراره الحازم .

كان ينبغي له وهو أقوى من المحاصرين بخمسة مقابل واحد ان يستولي على قازان بهجوم سريع . فقد كانت تحصيناتها مصنوعة من التراب والخشب ، وعلى الرغم من ان هذه المواد كانت تبدي مقاومة اكبر من التحصينات الحجرية في وجه قنابل المدفعية فقد كان من السهل فتح ثغرة فيها للمرور . ولكن مزاج الروس في القتال كان يشبه مزاج زمرة من الذئاب تنتظر وتنهك وتزمجر وتنسحب وتعود دائما بأعداد اكبر .

كان جيش القيصر الضخم في حركة دائمة . وكان المدافعون في المدينة يلاحظون غالبا إيڤان الذي لا يناله كلال ولا ملال ولكنه يبقى